جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

ملخص محاضرات : إبستمولوجيا علوم الإعلام والاتصال

المستوى : الأولى ماستر

التخصص : سمعي بصري

الأستاذ (ة) : حجام الجمعي

السنة الجامعية 2021/2020

محاضرات المحور الثاني : إبستمولوجيا علوم الاعلام والاتصال

المحاضرة الرابعة : علوم الاعلام والاتصال النشأة والتحولات في البنى المعرفية

تمهيد : لا يزال حقل علوم الاعلام والاتصال يثير الجدل على مستوى الباحثين ومختلف الدوائر الأكاديمية سواء على المستوى المعرفي الابستمولوجي ، أو المستوى المنهجي أو المستوى البيداغوجي والتكويني فتموقع علوم الاعلام والاتصال كملتقى لمجموعة من العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية التجريبية ، جعله محل استقطاب وتوظيف هذه العلوم ، التي يغذي وينمي أطروحاتها العلمية وينمو ويتغذي من أنساقها المعرفية وجهودها التنظرية العلمية. مما أضعف الجهود المندفعة المرافعة لاستقلال علوم الإعلام والاتصال ، والاستقلالية هنا لا تعني الانفصال التام ، والقطيعة مع العلوم الأخرى التي أنتجته، ولكن التفرد بمناهج علمية وتطوير براديغمات معرفية ، تنقل هذا الحقل المعرفي من حالة الاستعانة بالأدوات ومناهج مختلف العلوم ، لابتكار أدوات جديدة وعدة معرفية ومنهجية تساهم في تطوير علوم الاعلام والاتصال.

ويستدعي فهم ابستمولوجيا علوم الإعلام والاتصال، فهم سيرورة وصيرورة تحولات الظاهرة الاتصالية في حد ذاتها علاوة على الجهود العلمية التنظيرية التي تؤطر البحث فيها وتفسر خلاصاتها. وهذا ما أوضحه ريجيس دوبريه ، حين قال أن بيئة التواصل الاعلامي للبشرية ، مرت بثلاث عصور ميديولوجية وهي ، عصر الإنتاج الخطي وركيزته المخطوطة ، وعصر الإنتاج المطبوع وركيزته الكتاب ، وعصر الانتاج السمعي البصري وركيزته الصورة السينمائية والتلفزيونية والكومبيوترية. ويرى دوبريه أن كل عصر من هذه العصور الثلاثة قد يقي مرتبطا ماديا بالوسيلة الناقلة للمعرفة فيه(1)

ويمكن إضافة عصر الاتصالي الرقمي ، الذين يطبع الراهن المعرفي والتكنواتصالي للحياة البشرية اليوم

وكان ألفين توفلر ، قد صنف بدوره في كتابه حضارة الموجة الثالثة ، مراحل تحول الحياة البشرية من الإنسان الزراعي، إلى الإنسان الصناعي وصولا للإنسان المعلوماتي. الذي يعتبر امتداد لما يعرف اليوم بالإنسان الرقمي نسبة لبيئة الاتصال الرقمية.

1-إبستمولوجيا علوم الاعلام والاتصال :

إبستمولوجيا علوم الإعلام والاتصال ، هي الدراسة العلمية النقدية للمعرفة العلمية في علوم الإعلام والاتصال، وهو فرع علمي يبحث نقديا وباستمرار في كيفية تطوير الأنساق المعرفية والنظريات العلمية التي تسترشد بها البحوث والدراسات العلمية في علوم الإعلام والاتصال وتفسر بها نتائجها . من أجل أن تواكب تطورات الظاهرة الاتصالية في تشابكاتها مع التحولات المجتمعية. بمعنى البحث باستمرار

عن الحقيقة، لتمييزها من كل ما هو غير حقيقي ، أو البحث باستمرار في كل ما هو علمي لتخليصه مما هو ليس بعلم.

ويرى ريجيس دوبريه أن الميديولوجيا ، أو علم الإعلام ، يناقض هذا التوجه ولا يتماشى مع نزعة الابستمولوجيا التي يعرفها بأنها "تفكير حول العلوم، تدرس تكوين المعارف الصالحة، فخطابها معياري حول أنظمة البيانات الوصفية، فهي تبرز معايير الصلاحية، وتعين العوائق أمام تطور الحقيقة فالابستمولوجيا متطلبة ومشككة وتتحرك في الأفق الكلاسيكي للفلسفة وكأنها محكمة للمعرفة تبحث في المرتكزات وتقوم بعمل التحقق". بينما وفي الاتجاه المعاكس تهدف علوم الإعلام والاتصال إلى وصف المعارف المعيارية".(2) لكن هذا الطرح يحدث مراجعته، بسبب مراكمة علوم الإعلام والاتصال للمعارف والجهود التنظيرية ، التي أصبحت محل بحث نقدي لإنتاج معرفة علمية جديدة.

ويمكن القول أن إبستمولوجيا علوم الاعلام والاتصال، تجاوزت الإشكاليات التقليدية المتعلقة بماهية علوم الإعلام والاتصال ، لتبحث في التراكم المعرفي حول هذا الحقل العلمي، الذي يصنفه البعض أهم العلوم في النص الثاني من القرن العشرين. والذي يعرف تطورا مذهلا خاصة في البيئات الغربية المتحررة ، التي أسست لسلطة المعرفة، سواء من حيث الجهود التنظيرية أو الممارسات التكنواتصالية

ويمكن هنا الاستشهاد بأفكار ريجيس دوبريه لإبراز الأهمية القصوى والاستراتيجية لعلوم الاعلام والاتصال ، إذ أطلق على المجتمع البشري إسم "دائرة التواصل الإعلامي". ويعرف هذا العلم الذي هندس له مفهوما جديدا وهو الميديولوجيا . بأنه "علم دراسة الوسائط التي تغدوا الفكرة بواسطتها قوة مادية فاعلة ، ويرى في هذا العلم الطريقة المنطقية والعلمية الوحيدة التي يمكن أن تؤدي إلى تحليل شامل ومفيد لمدى تأثير وسائط الاتصال والإعلام في الحياة المعاصرة". (3)

ويرافع دوبري علميا ومعرفيا للنزعة الميديولوجية التي يتشارك فيها مع ماكلوهان ، باعتبار مختلف الوسائط الإعلامية ، المخطوطة كالكتاب والصحيفة والمنشورات الرسمية ، وفيما بعد الوسائط الاتصالية السمعية البصرية، هي التي تحكمت عبر التاريخ بانتاج التصورات والايديولوجيات والمنظومات الفكرية، وحتى العقائد الالدينية وليس العكس. وهي التي ترسم الواقع وليس الواقع هو الذي يرسمها. (4) الوسائط الاعلامية هي التي تقولب الأفكار بقالبها هي وتعطيها حجمها ومقاصدها ومداها... حتى أنها تطبع بطابعها الخاص المجتمع الذي يستعملها في عاداته وتقاليده السياسية والاجتماعية...وغيرها.(5)

وبالتالي فالبحث في ابستمولوجيا علوم الاعلام والاتصال، تعني المراجعة النقدية للمعرفة العلمية المنتجة حول الظاهرة الإعلامية والاتصالية وفي مختلف المجالات ،أي دراسة نقدية للجهد العلمي المتراكم حول مختلف عناصر العملية الاتصالية. وتجاوز الابستمولوجية التجزيئية التي تركز على

عنصر واحد ، كالدراسات التي تركز على الرسالة أو الوسيلة، أو الدراسات التي تركز على المرسل، أو التي تركز على المتلقي، أو بعضها التي تركز على رجع الصدى أو التشويش كعوائق التي تحول دون وصول الرسالة.

فالابستمولوجيا تبحث في تفكيك البنى الظاهرة والكامنة التي طبعت تطورات المعرفة العلمية في علوم الاعلام والاتصال، وإخضاعها للمراجعات النقدية بمناهج علمية وأساليب نقدية ، بهدف الاستمرار في تطوير هذه العلوم ، وجعلها تواكب دائما الطبيعة الحركية للعلوم وتمارس القطيعة مع البنى اللاعلمية

2-علم أم علوم الإعلام والاتصال :

لا يزال السؤال عالقا من الناحية المعرفية حتى في تسمية هذا الحقل المعرفي ، وإذا كان الأكاديميون حولوا تجاوز التساؤل التقليدي ، والذي مفاده هل علوم الاعلام والاتصال علم أم فن ؟ بالاقرار بعلمية علوم الاعلام والاتصال ، ومراكمتها المعرفة العلمية والعدة المفاهيمية والتقنيات والأساليب البحثية التي تمكنه من إخضاع الظواهر المجتمعية والاعلامية والاتصالية ، للبحث والدراسة والتحليل والنقد والبرهنة والتفسير والتأويل.

فإنه وبالمقابل ونظرا لتشعب وتعقيد الظاهرة الاعلامية والاتصالية ، وترابطاتها بمختلف مجالات الحياة، لا يزال التساؤل قائما حول هل حقل الإعلام والاتصال ، يمثل علما قائما بذاته؟ وهل تصلح التسمية بصيغة المفرد ، أي علم الاعلام والاتصال؟ أم بصيغة الجمع ، علوم الاعلام والاتصال؟ أم أنه يوجد علم الاتصال؟ وعلم الاعلام؟ وبالتالي يمكن الحديث عن الإعلام كفرع لمعرفة علمية قائمة بذاتها ضمن حقل علوم الاعلام والاتصال؟ والاتصال أيضا كفرع معرفي مستقل بدوره أيضا ضمن حقل علوم الاعلام والاتصال. فلا يزال الغموض في التسمية يطبع هذا المجال المعرفي.

ولقد خلص العديد من الباحثين إلى الدمج بين علم الإعلام وعلم الاتصال ، نظرا لصعوبة إيجاد الحدود الفاصلة بينهما. من جهة وبين العلوم الانسانية والاجتماعية الأخرى. فالباحث لا يدرس وسائل الاتصال فقط لكن يدرس العملية الاتصالية كاملة. وفي هذا الاطار يقول ولبر شرام "من الصعوبة ان يمكن التفريق بين أبحاث الاعلام وأبحاث الاتصال ، فالمصطلحان يلتقيان في المضمون ويختلفان في الشكل واللفظ وأي محاولة للتفريق بينهما ستزيد الأمور تعقيدا".

3-من علم الرسالة أو الوسيلة إلى علم المركب الاتصالي:

تدرس ابستمولوجيا علوم الاعلام والاتصال ، المركب الاتصالي في جميع عناصره وأبعاده ووسائطه في تشابكه مع البيئة الاتصالية وعبر مختلف مراحل تحولاتها، من الأشكال التقليدية البسيطة إلى الأشكال المعقدة التي تميز البيئة الاتصالية الرقمية ، التي أصبحت في تماس وتأثير وتأثر مع مختلف

جوانب الحياة الانسانية والطبيعية. " فارتباط ظاهرة الإعلام والاتصال بالنشاطات المتنوعة بالانسان والمجتمع، جعلها موضع العديد من الاهتمامات العلمية ، أي موزعة على أكثر من تخصص علمي، هذا جعل أبحاث الاعلام عالم والاتصال تواجه صعوبات كبيرة تمثلت في الغموض المنهجي والنظري. هذا الغموض تسبب في عدم إمكانية تحديد مفهوم علمي، على نحو يسمح بإيجاد المناهج للباحثين من تحديد موضوعاتها بصورة مستقلة والأدوات الخاصة بها .(6)

ولقد حاولت البحوث والدراسات العلمية، تبديد هذا الغموض وإيضاح معالم هذا العلم الحديث نسبيا ، مع محاولات مستمرة لتكييف مبتكرات مختلف العلوم سواء في الجوانب التنظيرية أو العملية لتتماشى مع أهداف تطوير علوم الإعلام والاتصال. " إذ وبالرغم من الصعوبات التي تعترض هذه النزعة ، بسبب الديناميكية الكبيرة التي تحكم الفضاء الاتصالي ، فإن الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام والاتصال القديمة والحديثة ، داخل المجتمعات وتأثيراتها المتعددة والمتراكمة في بنى التفكير الفردي والمؤسساتي ، وفي كل مجالات الحياة منذ ظهورها حتى الآن ، استقطبت البحث العلمي الأكاديمي ، للدراسة العميقة والنقدية للظاهرة الاتصالية ، كما أن هذه الأدوار المتعاظمة لوسائل الاعلام ووسائط الاتصال أدت إلى ميلاد وعي متزايد بمشكلات وقضايا المركب الاتصالي، سيما تأثير المحتويات الاتصالية، التي تبثها وسائل الاعلام ووسائط الاتصال المختلفة ، وتجلى هذا الوعي في شكل اهتمام سلطات الدول بوسائل الاتصال الجماهيري، بفعل الدور الكبير الذي تؤديه خاصة على مستوى تكوين الرأي العام ، والنظم السياسية والعلاقات الدولية وأيضا الترويج السلعي والخدماتي.

وهذه الأهمية تعكسها، الاهتمام البالغ الرسمي العمومي بتدريس علوم الإعلام والاتصال في كل أنحاء العالم، إضافة إلى استمرار تعاظم الإهتمام العلمي الأكاديمي بتطوير حقل علوم الإعلام والاتصال والذي يصنف ضمن أهم العلوم وأكثرها تعقيدا.(7)

إذن فمجالات الدراسة والبحث في إبستمولوجيا علوم الاعلام والاتصال ، متعددة ومتنوعة ومتشعبة ، وتتجاوز العناصر التقليدية للعملية الاتصالية المتعارف عليها ، كتلك التي صاغها هارولد لاسويل في مقاربته ، من يقول؟ ماذا؟ لمن؟ بآية وسيلة؟ وبأي تأثير؟ لتمتد إلى الدراسة العلمية والمراجعة النقدية لكل البنى الفكرية والمعرفية المتراكمة ، حول الظاهرة الاعلامية والاتصالية، دون إهمال السياق الاتصالي ، سواء في أنساقه التقليدية الخطية والمكتوبة أو السمعية البصرية ، أو الراهن المعرفي الذي يميزه الأنساق الافتراضية المكتوبة والسمعية البصرية في ظل البيئة الاتصالية الرقمية.

لقد أصبحت إبستمولوجيا علوم الاعلام والاتصال اليوم ، تهتم بالدراسة العلمية والنقدية للظاهرة الاعلامية والاتصالية الراهنة ، من خلال البحث في البنى اللاعلمية في الجهود التنظيرية المتراكمة

أي إعمال العقل العلمي النقدي ، لتفكيك العوائق المعرفية التي تحول دون تطوير عدة منهجية ومعرفية خاصة بعلوم الإعلام والاتصال، والانتقال من التفكير بمنطق الحقائق الجاهزة والنظريات العلمية النهائية، إلى منطق الشك المنهجي والدحض المعرفي المولد لأفكار ابتكارية ونظريات جديدة.

4-بحوث ودراسات علوم الإعلام والاتصال هل هي استقرائية أم استنباطية :

لقد تم ترحيل السؤال الإبستيمولوجي المرجعي من الفلسفة الأرسطية هل العلوم استقرائية أم استنباطية؟ وتم إقحامه في حقل علوم الإعلام والاتصال، بطرح هل دراسات وبحوث علوم الاعلام استقرائية أم دراسات استنباطية؟ لكن بقي كهاجس معرفي، أي دون تحديد إجابة لهذا السؤال الذي يقود الباحث إلى محاولة تفكيك مختلف الدراسات، التي كانت في مجال علوم الاعلام من حيث طريقة بحثها و معرفة إن كانت استقرائية أم استنباطية .

ورغم الصعوبة المنهجية في الاجابة ، إلا أن المنطق العلمي يحيلنا إلى التنوع في استخدام هذين المنهجين الكلاسيكيين في بحوث ودراسات علوم الإعلام والاتصال ، فبعض الدراسات تعتمد على المنهج الاستقرائي ، وبعضها الآخر يعتمد على المنهج الاستنباطي، لكن في معظم الدراسات يتم توظيف المنهج المختلط الاستباطي والاستقرائي. ففي دراسات الجمهور على سبيل المثال، هناك دراسات استقرائية تمثلت في مختلف الدراسات الامبريقية ، في الولايات المتحدة الأمريكية.

فنظرية القذيفة السحرية، تعتبر دراسة استقرائية ، لأنها تنطلق من الميدان. بينما نظرية الحتمية التكنولوجية هي دراسة استنباطية تأملية فلسفية ، رغم أن كلاهما يقر بالتأثير المطلق لوسائل الاعلام.

المحاضرة 5: البراديغمات كبنى ابستمولوجيية في بحوث ودراسات علوم الإعلام والاتصال

تمهيد : تتنوع الجهود العلمية التنظيرية وتتعدد ، بتنوع الظاهرة الإعلامية والاتصالية وتعدد أشكالها وأساليبها ووسائلها الإعلامية ووسائطها الاتصالية ، وكذا تنوع وتعدد علاقات التأثر والتأثير بين عناصر المركب الاتصالي ، وبيئة الاتصال بشكل عام.

هذا التعدد والتنوع ، فرض تعددا وتنوعا في النظريات العلمية والأنساق المعرفية المؤطرة للمعرفة العلمية في حقل علوم الإعلام والاتصال، ولقد ساهمت التطورات النوعية لمختلف الثورات العلمية إلى إعتماد البراديغم ، كتجميع لمجموعة من الجهود التنظيرية، أي شامل لمجموعة من النظريات كمرتكز أساسي لاستدامة البحث النقدي لتطوير الأنساق المعرفية والنظريات الموجودة، بما يواكب الطبيعة الديناميكية للمعرفة العلمية، وفيما يلي نبرز أهم البراديغمات المعتمدة التي تسترشد بها بحوث ودراسات علوم الإعلام والاتصال. وهي البراديغم التحكمي أو السيبرنطيقي ، البراديغم السلوكي البراديغم الوظيفي ، والبراديغم التأويلي .

والبراديغمات تعتبر نظريات أو بنيات نظرية ذات تركيب نسقي. فكون الاتصال كبنية تنظيمية بوسائط متعددة وتأثيرات متنوعة ، وتأويلات تعيد صياغة المعنى الاجتماعي بين الأفراد. فعلم الاتصال علم متعدد الأنظمة ، تشمل عدة علوم ، كالعلوم الاجتماعية والإنسانية التي ينتمي إليها ، وكل نظام يؤدي إلى نموذجه الإرشادي الخاص به.(8) وفيما يلي أهم البراديغمات المسيطرة في علوم الاعلام والاتصال.

1- البراديغم السيبرنطيقي (السيبرنتيك) : ينحدر من النموذج المنهاجي النسقي ، أما دلاليا فكلمة سيبرنتيك، جديدة ظهرت بمعناها الحالي في سنة 1984 عن طريق العالم الأمريكي نوربرت فينر في كتابه "السيبرنتيك" أو التحكم والاتصالات في الكائن الحي وفي الآلة. أصل هذا اللفظ يوناني (Kubernétiké) ومعناه فن الحكم أو التوجيه والادارة. وكان يقصد بها قيادة الربان للسفينة. واستخدمت هذه الكلمة سابقاً من قبل أفلاطون أثناء محاوراته عن فن قيادة السفينة .

ومن أفلاطون غاب استعمال هذا المصطلح إلى غاية بدايات القرن التاسع عشر حيث وظفه العالم الفرنسي ، أندريه ماري أمبير ، في كتابه ، مقالات في فلسفة العلوم. واعتبره علم إدارة المجتمعات الذي يهيئ للعالم فرصة الاستمتاع بالعالم . والسيبرنيتك بمفهومها الحالي "هو العلم الذي يدرس النظريات

العامة للتحكم في النظم المختلفة سواء كانت بيولوجية أو تكنولوجية ، ويعرف أيضا بأنه علم نقل الاشارات أو علم التحكم الذاتي". (9)

ومن خصائص البراديغم السيبرنطيقي ، الاتصال والمراقبة في الآليات والإنسان . علوم الأنساق الموجهة والمراقبة، تشير إلى تنظيم تلقائي في الاسترجاع أي الفعل ورد الفعل.() فالسيبرنتيك هي المحاكاة المنطقية بين الإنسان ووسطه، للتوصل إلى هدف معين ومرسوم يمكن من بذل مجهود أقل للحصول على نتائج أفضل.

ولقد حاول وينر في كتابه السيبرنتيك ، تفسير الظواهر الحياتية والنفسية التي لاحظها في الكائن الحي ومحاولة إمكانية إيجاد الشبه بين هذه الكائنات موضوع المراقبة والمفاهيم التي تدور حولها. ولذلك يمكن القول بأن السيبرنتيك يعالج الصيغ العامة لخواص الجمل المعلوماتية، الطبيعية والصناعية على حد سواء، والعمليات التي تجري في داخلها . ومما سبق نرى بأن السيبرنتيك هو علم الآلة التي تحاكي الكائن الحي ، وعلم كيفية نقل المعلومات بين أعضائه الفكرية والحسية ومحاكاتها عند الآلات التي تقوم بوظائف هذه الأعضاء الفكرية والحسية. فهذا العلم يسعى إلى التقريب بين نظامين للتحكم لأنه يدرس طريقة تفكير الإنسان، وفي الوقت ذاته يدرس مبادئ بناء الأجهزة الآلية. والهدف من ذلك محاولة مكننة العمل الذهني للإنسان بواسطة هذه الاجهزة.

وشهد مطلع العشرية الثانية من القرن الواحد والعشرين الحديث عن تطوير السيبرنتيك ليصح يطلق عليه اليوم الذكاء الاصطناعي، بفعل التطورات المذهلة في البنية التقنية للاتصال المتحالفة مع الأجيال الأخيرة للأنترنت ، سيما الجيل الرابع والجيل الخامس.

ويستخدم هذا البراديغم في الدراسات المتمحورة حول حقل أنساق الاتصال، ودراسة شبكات الاتصال ، وكذا معاينة ترابط عناصر السلسلة في الاتصال.(10)

البراديغم السلوكي : ينحدر من علم النفس الوضعي ، ومن خصائصه الاعتماد على نموذج المثير / الاستجابة. أي لكل إثارة استجابة ملائمة وذات خصائص مرئية ، وتفترض ردات فعل تلقائية. (11)

ولقد بدأت أبحاث العالم الروسي بافلوف ، بدراسة فسيولوجية الجهاز العصبي عند الكلب ، وقد نال بهذا شهرة واسعة في هذا المجال رشحته لنيل جائزة نوبل ، وعلى الرغم من ذياع سيطه في المحافل العلمية، تجاه المجال الفسيولوجي، إلا أن أعظم اكتشافاته كانت في مجال دراسة سلوك الفعل

المنعكس الشرطي ، حيث كانت أمريكا في تلك الآونة، وخاصة في أوائل القرن العشرين غارقة في استخدام علم النفس الاستبطاني، والاقتصار على دراسة الشعور . وقد تبين لبافلوف خلال إجراء العديد من التجارب على الكلاب، أن المثير الذي يصاحب تقديم الطعام إلى الكلب، كرؤية الأنية التي يوضع فيها الطعام للكلب .

البراديغم السلوكي و نموذجه المثير الاستجابة مشتقان من علم النفس ففي بداية القرن جاء مفهوم الانسان النفساني ليضاف الى الانسان الاجتماعي ليجعل من الفرد كائنا معزولا معرضا و خاضعا للعديد من التاثيرات. و قد تم إسقاطه و تطبيقه على السلوك الانساني الذي اعتبر انه يستجيب الى سلسلة من الآليات البيولوجية، تولد عن هذا النموذج أي البراديغم السلوكي الذي استعمل و مزال يستعمل في دراسة تأثير وسائل الاعلام، وقد اعتبرت هذه الوسائل كمثيرات قوية جدا في مواجهة افراد ضعفاء جدا بمعنى انهم مجرد متلقين قابلين للاختراق والتأثير المباشر.

أما توظيفه في بحوث ودراسات الاعلام ، مثل تأثير وسائل الإعلام على الناس، تاثير الدعاية، تأثير الاشهار الاقناع، التعرض وتلقي الأخبار الكاذبة...الخ.

3-**البراديغم الوظيفي** : ظهر كنتيجة للتحولات العميقة في البنى العلمية التي طورها العقل العلمي الغربي. سيما جهود أوجست كونت ، الذي أمدها بمعطى التوازن بين مختلف الأجزاء المكونة للبناء الاجتماعي. يرتكز البراديغم الوضعي على إدراك المجتمع كوحدة عضوية ، حيث أن العناصر تفسر بالوظيفة التي تشغلها. فالحقيقة الاجتماعية موضوعية ، الاتصال عملية ، والرسالة هي الأهم في هذه العملية، كما أن من بين خصائص البراديغم الوظيفي البحث عن العام.(12)

وتعتبر دراسات وبحوث الاستخدامات المتنوعة لوسائل الاعلام ووسائط الاتصال والاشباعات المحققة منها، من أهم المجالات المسترشدة بالبراديغم الوضعي. علاوة على دراسات الأدوار المختلفة المؤسساتية ضمن البنى الاتصالية والمجتمعية . وتعتبر نظرية القذيفة السحرية ، كمثال عن البراديغم الوظيفي

وساهمت أفكار كل من شارل داروين ، وأيضا هربرت سبنسر وغيرهما، في تطوير أفكار هذا البراديغم فهربرت سبنسر ينظر للمجتمع، ككائن عضوي حي، يتكون من مجموعة من الأجزاء التي يؤدي كل منها وظيفة لصالح بقاء الكل واستمراره حيا. ولقد هيمنت هذه النزعة ، أي التفسير البيولوجي للمجتمع والبعد الوظيفي لأعضائه.(13)

4-البراديغيم التأويلي : نشأ في خضم الفكر النقدي للفسلفة المثالية الألمانية ، من خصائص هذا البراديغم ، أن المعاني تقع في الأفعال الاجتماعية. والتركيز على تحليل المعاني الذاتية ، التي تشكل التوافق حول تأويل الواقع. فالناس في منظور البراديغم التأويلي تعطي معنى لعالمها ، من خلال السلوط الاتصالي ، وأن المجتمع عبارة عن بناء مركب من التجارب الشخصية لأفراده.(14) يفيد هذا البراديغم في دراسات الرسائل والأبعاد والدلالات التي تحملها المضامين الاتصالية

فلقد اهتم البحث العلمي ضمن هذا البراديغم على سلطة المؤلف أو الكاتب كمرحلة أولى ، قبل أن يعرف تحولا في المسار النقدي في اتجاه ترسيخ سلطة أخرى، على غرار سلطة المؤلف وهي"سلطة النص"، حيث كان الاعلان عن موت المؤلف من قبل أقطاب البنيوية. أما المرحلة الثالثة فعرفت فيها الدراسات الأدبية تحولا نوعيا في اتجاه ارساء دعائم التأويل، من خلال الاهتمام بدور التلقي الذي أصبح جزء لا يتجزأ من كل عملية تأويل ، ونال القارئ فيها حقه ، حين أصبح النص يتوجه إليه باعتباره الموجود الوحيد والحكم الفصل وهو الكاتب الجديد للنص والمفترض دائما.(15)

يقوم هنا البراديغيم التأويلي على دراسة المعاني و الدلالات، حيث أن الأفراد يعطون معنى للعالم عبر تصرفاتهم الاتصالية، من سلوكات و رموز كلمات الخ. وبهذه التأويلات تقع في الافعال الاجتماعية فالتنظيم هو ليس بناء موضوعي، كما ترى الوظيفية بل بناء لمجموعة من المعاني، و الاتصال ليس رسائل عبر التبادل و الشبكات، بل عنصر يبني التاريخ و الأساطير و الطقوس داخل التنظيمات.(16)

إذن البراديغيم التأويلي رمزي و ليس حتمي كالوظيفي ، التفاعل الاجتماعي يولد المعاني و المعاني تشكل عالمنا، مثال ورقة هي ورقة الآن في حياتنا اليومية، الدور الذي تلعبه الورقة في عملية تفاعلنا أي التي نكتب عليها التي نرسم فيها.(17) لكن سيتحول هذا المعنى في الأجيال القادمة إذا تحقق هدف صفر ورقة مستقبلا، بسبب نزعة الرقمنة المفرطة.

المحاضرة السادسة : إبستمولوجيا علوم الإعلام والاتصال ودراسة عناصر المركب الاتصالي

1-الاتجاهات الرئيسية في دراسة التلفزيون:

تمهيد : سنحاول في هذه المحاضرة إبراز بعض الجهود العلمية التي اهتمت بإبستمولوجيا الوسيلة الإعلامية ، بالتركيز على واحدة من أهم وسائل الإعلام وهي التلفزيون ، فلقد برزت الكثير من الإبحاث والدراسات وفي مختلف السياقات الزمكانية ، ولقد حظي التلفزيون باهتمام من طرف أنظمة الهيمنة القائمة ، السياسية والمالية .كما حظي التلفزيون باهتمام علمي كبير من خلال دراسة تأثيراته المتعددة وفي مختلف المجالات ، سيما السياسية وما تعلق بسطوته وقدرته الكبيرة على تشكيل الرأي العام.

ويشير بعض الباحثين الأكاديميين ، أنه لا يمكن فهم العلاقة القائمة بين التلفزيون والجمهور إلا من خلال السياق الفلسفي والنظري الذي يقوم علية الاعلام ، اذ حاولت عديد من المقاربات تحديد الدور الحيوي الذي يقوم به التلفزيون في المجتمع. ، وعلى الرغم من أن المشاهدين يستخدمون آلة التحكم عن بعد وتحركهم رغباتهم وعوامل الصدفة ، فان المفكرين والباحثين أولوا هذه الوسيلة الكثير من الاهتمام ، فكانت لهم اتجاهات متعددة.(18)

1-الاتجاه الميديولوجي : من ماكلوهان إلى رجيس دوبري ، هذا الاتجاه أولى سلطة حاسمة للجهاز التقني ، يرى دوبري أن الثقافة البصرية تتخلق بأخلاق الآلة التي حملتها ، وان التلفزيون ذلك الجهاز الذي يتطلب السرعة والمباشرة والآنية و الصور الجميلة والأنوثة والاثارة والألوان الحية. هو مكون أصلا للتسلية وهو متوافق تماما مع غايته ، وهو يدخل الانسجام في الأمور المتنوعة ، يحول الواقع إلى خرافة ، وظيفته الخاصة الاعجاب وليس التثقيف ، فهو لا يعمل على تعاقب الأفكار والاشارات إنما هو سيل من الصور دون تركيب وتجميع وتمييز .(19)

فرغم إصرار مارشال ماكلوهان على تفرد كل وسيلة من هذه الوسائل الإعلامية تشابها جوهريا في كل ألوان الانتاج الاعلامي فيما يتعلق بالقيم العامة الأساسية . وليست المسألة كما يزعم ماكلوهان أن الوسيلة الإعلامية، هي التوجه أو الرسالة. بل إن كل أجهزة الإعلام تنقل الرسالة نفسها كل بأسلوبه وشكله الخاص . تصبح الثقافة البصرية تبعا لهذا التخلق ثقافة مجزأة مفتتة سطحية استهلاكية

وقد تساهم هذه الأخيرة في تفكيك البنى الثقافية القائمة ، وهي غير قادرة وحدها على تشكيل بنى جديدة، ذلك أن التلفزيون يقدم تصورا للعالم يسوده التركيز الاعتباطي المفاجئ. على قضية ما

والايقاف المفاجئ له. انه أداة مميزة لفرض الكثير من مفاهيم العصر ، لفرض وتيرة الحدث ،الاختزال التعقيد إلا صورة بسيطة، كما يرى ادوار د سعيد ، فالسيل من الصور والكلام المتدفق من التلفزيون يصبح شيئا فشيئا بديلا عن العمل الذهني ، لأن الصور جذابة مغرية توحي بالاسترخاء ومتعة التلقي وتنبع أهمية الترفيه ، في الثقافة البصرية من المشاهدة التلفزيونية تدخل دون أحداث ضجة خصوصا إذا كان البرنامج ترفيهيا شعبيا وغير سياسي. مما يضع الإنسان في إطار معادلة معرفية جديدة ما فوق سياسية ، يتعين أنها تطال أشكال وأنماط تفكيره وطرق ممارسته في الحياة اليومية والعملية فتأتيه من حيث لا يدري ، لأنه عندما يتعلق بمشروع يخاطب الأحاسيس تسقط كل مقاومة وينتفي عمليا ونظريا البديل ، فتحل المشاهدة مكان المشاركة. (20)

الإتجاه النقدي : الذي يرى في التلفزيون أداة السيطرة الرمزية ،إذا يرى بيار بورديو ان آلية التلاعب بالعقول يتحكم فيها منطق النظام نفسه، القائم على تفضيل وهيمنة فئات على حساب فئات أخرى وان التوظيف والمضمون الإيديولوجي للتكنولوجيا يتجلى في دور التلفزيون الفضائي ،إذا لا يقتصر دوره على التأثير المباشر في المشاهد بل يمتد إلى مجالات أخرى ، تشمل الانتاج الثقافي ولقد شكل هذا الواقع الجديد لأثر وسائل الاعلام المرئية في العلاقات الانسانية، محرضا دفع بعلماء الاجتماع الأكثر معاداة للتلفزيون ، بيار بورديو إلى التفكير في منهاج يؤلف بين النقد النظري والطرح العلمي لتأثير وسائل الاعلام.(21) والذي سيؤدي إلى تنمية الوعي والإدراك بخفايا الصورة التلفزيونية وخطابها الظاهر والكامن ، صورة مركبة يستعصي فهمها لا فقط على عامة الناس بل على المثقفين منهم والمتخصصين في شؤون البحث العلمي والثقافة والفن ، وهذا الوعي ربما سيساهم حسب "بورديو" المعروف بمبالغته في التشاؤم من الأدوار التنويرية والتثقيفية للتلفزيون ، باعتباره جهاز لبيع الوهم وإنتاج العنف الرمزي. ويرى في النقد للتلفزيون الإمكانية لتغيير السلوكيات الفردية والجماعية من أجل تعامل ناقد وذكي. وفاعل مع صور التلفزيون القادمة من كل حدب وصوب والهابطة على حواس الإنسان والمقيدة لطاقاته على التخيل و الحلم والتذكر.(22) .

3-الإتجاه التفاؤلي : الذي يجسده في فرنسا دومنيك ولتون ، الذي يرى في التلفزيون أداة الديمقراطية. الاتجاه الفاصل بين الجيل السابق من التلفزيون وبين الجيل اللاحق من التلفزيون الأول نظم على أساس الفصل بين الإعلام والمشهد ،أما الثاني فخلط بينهما ، وبعدما كان التلفزيون بمثابة مرآة للأحداث غدا منتجا للحقيقة المتلفزة المستقلة ، وغدا يبني نفسه وأصبحنا نرى الكاميرات وطلب التصفيق مباشرة ، وعوضا عن تبيان التلفزيون للعامل الخارجي غدا يبني الناس لأنفسهم ، كاد

التلفزيون الحديث أن يجعل الوقائع في متناول الجميع ، ومن هنا طرح أمربيتو إيكو السؤال عمن يتكلم التلفزيون : عن العامل ، عن نفسه ،أم عن الجمهور ؟ ليجيب أن التلفزيون الراهن يعرض نفسه ويتكلم عن نفسه أكثر مما يتكلم عن العامل الخارجي. (23)

إن هذا الحديث عن تعدد الاتجاهات النظرية التي حاولت فهم الظاهرة التلفزيونية ، ينطبق على كل عناصر المركب الاتصالي ، بمعنى هذا التعدد في المداخل النظرية والمقاربات المنهجية والبراديغمات المعرفية ، ينطبق على باقي الوسائل الإعلامية والوسائط الاتصالية ، وعلى المرسل أو القائم بالاتصال ، كما ينطبق على المتلقي أو الجمهور ، وينطبق أيضا على القراءات العميقة للسياقات التواصلية التي تبحث في البنى الثقافية والمعاني المخفية في الأنساق الاتصالية خاصة الغفتراضية في سياق البيئة الاتصالية الرقمية.